الدرس السّابع: علاقة اللّفظ بالمعنى: 1-التّرادف (أسبابه، اختلاف الدّارسين حول وجوده)

تمهيد:

لقد اهتمّ العرب بلغتهم أيّما اهتمام فعكفوا عليها دارسين لها في مختلف مستوياتها؛ الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية، وممّا توقفوا عنده وصنّفوا فيه المصنّفات، واختلفت فيه الآراء ظاهرة الترادف؛ تلك الأخيرة التي كان الجدل بين اللغويين في حقيقتها، وفي وجودها في العربية بين مثبت ومنكر ومعتدل. فما الترادف، وما أسباب حدوثه؟

1-تعريف الترادف:(synonymy)

أ-لغة:

ممّا عرّف به: «الرِّدْفُ: ما تَبِعَ شيئاً فهو ردفه، وإذا تتابع شيءٍ خَلْفَ شيءٍ فهو التّرادُف»

وقال ابن فارس: «الرَّاءُ وَالدَّالُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ عَلَى اتِّبَاعِ الشَّيْءِ. فَالتَّرَادُفُ: التَّتَابُعُ»

ب-اصطلاحا:

الترادف اختلاف اللفظ واتفاق المعنى. وذكره ابن جنّي في باب (تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني) قال فيه: «هذا فصل من العربيّة حسن كثير المنفعة، قوي الدلالة على شرف هذه اللغة. وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه» كما قيل عنه: «الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة»

2-أسباب حدوث الترادف في اللغة:

تكاد أسباب حدوث الترادف تنحصر في سببين رئيسيين هما:

أ-السبب اللهجي: بأن تطلق قبيلة اسما ما على المسمّى وتختار قبيلة أخرى اسما غيره، وبعد أن جمعت ألفاظ العربية ظهر الترادف جليا وهو ما يشير إليه اللغويون باللغات.

ب-التطوّر اللغوي: والذي يتّخذ أشكالا مختلفة؛ منها:

-التغير الدلالي: ذلك أنّ بعض الكلمات كان بينها تباين طفيف في المعنى ومع مرور الزمن وتطوّر اللغة العربية اختفى كثير من تلك الفروقات الدلالية حتّى صارت مترادفة؛ من ذلك الصّراخ والصّياح؛ إذ الصياح صوت كلّ شيء إذا اشتدّ، أمّا الصّراخ فالصيحة الشديدة عند الفزع أو المصيبة أمّا الآن فلا نكاد نلمح ذلك الفرق.

-فقدان الوصفية: فكثير من الأسماء؛ على غرار أسماء السيف والخيل وغيرها مترادفة في الذّات مختلفة في الصفات، ثمّ تنتقل تلك الأخيرة من الوصفية إلى الاسمية؛ مثال ذلك أسماء السيف المختلفة.

-المجاز: كان للمجاز دور في نشوء الترادف؛ بأن يطلق لفظ على المعنى مجازا ثمّ-مع كثرة الاستعمال ومرور الزمن-تنسى مجازيته ويصير من باب الحقيقة. مثال ذلك: إطلاق الصلعاء على الصحراء فهو من باب التشبيه. ثمّ فقد مجازيته.

-الاقتراض من اللغات الأخرى: من ذلك الإبريق الفارسي الذي يقابله التّأمورة العربي، والطّاجن الفارسي كذلك ويقابله المِقلى العربي.

إضافة إلى الإبدال الذي يصيب بعض أصوات الكلمة فيعتقد أنهما-الأصيلة والمبدلة-مختلفتا اللفظ متفقتا المعنى؛ أي مترادفتان. وهما في الحقيقة كلمة واحدة. ويسميه بعض الترادف الوهمي.

3-اختلاف الدّارسين في الترادف:

لقد اختلف اللغويون في الترادف كما سبق وذكرنا بين مثبت ومنكر ومثبت بشروط.

أ-مثبتو الترادف: على رأسهم نجد سيبويه(180ه) الذي سبق ونقلنا قوله الذي صرّح فيه بوجود الترادف في لغة العرب. ومن هؤلاء أيضا ابن خالويه(370ه) الذي كان يفتخر بحفظه خمسين اسما للسيف، والأصمعي(215ه) الذي ذكر أنّه يحفظ للحجر سبعين اسما، ومن هؤلاء الرّمّاني(384ه)، وابن جنّي(392ه) الذي ذكرنا بابه الذي عقده للترادف. وغيرهم.

ب-منكرو الترادف: على رأسهم ثعلب(291ه) تلميذه ابن فارس(395ه)، وأبو علي الفارسي(377ه) الذي أنكر على ابن خالويه الذي قاله من أنّ للسيف خمسين اسما. وممّن أنكر الترادف أبو هلال العسكري(395ه) الذي صنّف كتابه الفروق اللغوية متتبعا الفروق الدلالية بين ما عدّه غيره من المترادفات. من ذلك تفريقه بين المدح والثناء، وبين القعود والجلوس.